رسول الإسلام ص في مكة

بقلم
المرجع الديني الراحل
الإمام السيد محمد الشيرازي ره

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، والصلاة على رسول الإسلام محمد وآله الطاهرين.

قصص من (قادة الإسلام): الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام نقدمها للطلاب الذين لم يدركوا مبلغ قراءة الكتب المفصلة، لعلها تركز فيهم هذا القسم المهم من أصول الدين، وتحبب لهم الخير والصلاح والإرشاد، والله المستعان.

كربلاء المقدسة

محمد

حالة الجزيرة في الجاهلية

كانت البلاد مظلمة، ترتطم في أوحال الجهل، وكانت الشمس تشرق على بشر نضبت في نفوسها معاني الخير والصلاح، فكانت لاتعرف إلاّ الشر والفحشاء، وتعيث في الأرض ظلماً وعدواناً.

❖ يكذبون في الكلام، ويشعلون نار الفتن، ويخلفون الوعد.

❖ تسود بينهم الفوضى والهمجية، فلا نظام ولا دستور ولا قانون.

❖ يُريق بعضهم دماء بعض بدون أي مبرر.

❖ يأكلون أموالهم بينهم بالباطل، يسرقون وينهبون ويسلبون.

❖ تسود بينهم الطبقات المنحرفة، وتبعد الهوة بينها.

❖ يهتكون الأعراض، ولا يحترمون النواميس.

❖ يئدون البنات وهنّ أحياء، ويقولون: (نعم الصهر القبر).

❖ يشربون الخمر، ويلعبون القمار، ويأكلون لحم الخنزير.

❖ لا يحترمون الآباء والأمهات، ويقطعون الأرحام.

❖ يؤمنون بالخرافات:

فقسم منهم يعبدون الأصنام..

وقسم منهم يعبدون النار..

وقسم منهم يعبدون الملائكة..

وقسم منهم يعبدون المسيح عليه السلام ..

وقسم منهم يعبدون النور والظلمة.

❖ أما الحروب، فقد كانت بينهم قائمة على ساق، فالقبائل والدول تحارب بعضهم البعض على طول الدهر.

❖ قد أصيبوا بأبشع أنواع الفقر والجهل والمرض والتشتت، فالنعرات الإقليمية، والعرقية، والتفرقات اللونية والقبلية، كانت تسعرهم بنارها، قد فشت فيهم الرذيلة بجميع أصنافها.

ولادة نبي الإسلام ﷺ

وفجأة أشرقت الدنيا بنور (محمد) نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله)، فقد منّ الله على البشر بأن شرّف الأرض بمقدم هذا المولود السعيد في أطهر بقاع الأرض (مكة المكرمة) حيث صارت بعد ذلك قبلةً للمسلمين. في أبرك يوم وأسعده، يوم الجمعة سابع عشر (ربيع الأول) بعد الفجر.

قبل ثلاث وخمسين سنة من الهجرة، في عام الفيل في زمن الملك العادل (كسرى): (أنوشروان).

من أب كريم شريف: (عبد الله) بن (عبد المطلب) بن (هاشم) وأم طاهرة تقية: (آمنة) بنت (وهب).

ظهور الأحداث الكونية عند ميلاد الرسول ﷺ

وفي يوم ولادته ﷺ ظهرت أحداث عجيبة في الكون، دلت على عظمة المولود ..

فقد خمدت نيران (فارس).

وغاضت بحيرة (ساوة).

وسقطت (شرفات) من قصر ملك الفرس.

ونكست (الأصنام).

كما زهر من جبينه ﷺ المبارك نور أضاءت له بيوتات مكة.

وتنبأ الناس بأنه سيكون لهذا الوليد مستقبل عظيم باهر.

وجاؤا بالمولود إلى جدّه (عبد المطلب) شيخ مكة وزعيم القرشيين، فبارك الوليد، وسرّ به سروراً عظيماً، حيث كان قد أخبر من قبل (بواسطة البشائر السماوية والكهان): بأن حفيده هذا سيكون نبياً رسولاً.

وسرت (قريش) وهم قبيلة النبي ﷺ بهذا المولود الجديد، وبالأخص بيت هاشم.. حتى أن عم النبي (أبا لهب) أعتق جارية

له، حيث أتت إليه ببشارة ولادة (محمد) صلى الله عليه وآله.

مرضعة الرسول ﷺ

كانت عادة الأشراف من العرب: أن ترسل بأولادها إلى البادية للارتضاع، حتى يشب الولد وفيه طهارة الجو الطلق، وفصاحة اللغة البدوية، التي لم تشبها رطانة الحضر المختلط من صنوف مختلفة، وشجاعة القبائل التي لا تعرف جُبناً بواسطة قيود المدينة، وصفاء النفس التي تشمل انطلاق الصحراء.

وهكذا ارتأى جد الرسول (عبد المطلب).

وجرياً وراء هذه العادة، كانت نساء القبائل تأتي في كل سنة إلى (مكة المكرمة) لتأخذ أبناء الأشراف وذوي المناصب والجاه.

فأمر (عبد المطلب) أن يؤتى بالمرضعات، ليختار منهن واحدة، لحفيده الميمون.

فأتت النساء، تسعى إلى (عبد المطلب) لتنال هذا الشرف الذي فيه مفخرة إرضاع هاشمي كـ (محمد) والنيل من رفد زعيم مكة.

ولم يقبل (الوليد) ثدي أية امرأة منهنّ، فكن يرجعن بالخيبة.

وكأن (الله) سبحانه لم يشأ إلاّ أن ترضع النبي ﷺ امرأة طاهرة

نقية.

حتى انتهى الدور، إلى امرأة شريفة عفيفة تسمى (حليمة السعدية)، فلما مثلت بين (عبد المطلب) سألها عن اسمها، ولما أخبر باسمها، تفأل وقال: (حلم وسعد)!.

فأعطوها النبي (محمد) ﷺ وإذا به يلقم ثديها ويقبل على المص ببهجة وحبور..

فرح الجميع من ذلك، وأخذوا يباركون الجدّ والمرضعة..

وهناك عادت إلى قومها (حليمة) بخير الدنيا، وسعادة الآخرة، تحمل الوليد المبارك.

وشاءت الأقدار أن تدرّ على قبيلة (حليمة) الخير والبركة، بيُمن هذا المولود الرضيع، فكانت السماء تهطل عليهم بركةً وسعةً وفضلاً.

والوليد الرضيع، ينمو نمواً مدهشاً، على غير عادة أمثاله.

ويوماً بعد يوم، تظهر في سماته آثار العز والجلال، مما تنبئ بمستقبل نير..

فكانت القبيلة تتعجب من هذا الرضيع!.

وأخذ الطفل يشب، وينمو، ويقوى، ويكبر، وفي صباح كل يوم تقع عيني (حليمة) وعيون (القبيلة) على وجه وضّاء مشرق.

واتفق أيام كان (محمد ﷺ) في البادية:

أن جاء رجل إلى مكة، وقال لـ (عبد المطلب):

إن (حليمة) امرأة عربية، وقد فقدت ابنها، واسمه (محمد)!.

فغضب (عبد المطلب) لهذا الخبر المؤلم، وحزن.

وأرسل في طلبه ..

فوجدوه في وادٍ، تحت شجرة أم غيلان ..

فسرّ بذلك سروراً بالغاً.

وفاة الأم الحنون

وأخذ نبي الإسلام ﷺ يكمل ويرشد ـ بعد مرجعه من البادية ـ في عطف أمه الطاهرة (آمنة) .. وجدّه الشفيق (عبد المطلب).

حتى إذا بلغ من العمر (السادسة) ذهبت به أمه (آمنة) إلى (يثرب): (المدينة) ليزور أخواله (بني النجار) وصحبته في هذه الرحلة (أم أيمن) ومكثوا هناك مدة ..

وعند رجوعهم إلى (مكة) وقع حادث أليم على النبي ﷺ، فقد لبّت أمه (آمنة) نداء ربها، عند قرية تسمى (الأبواء)..

ففاضت عينا (محمد) بالدموع..

واجتمعت عنده وحشة موت الأم إلى وحشة موت الأب..

فقد مات أبوه (عبد الله) وهو جنين في بطن أمه، (أو له من العمر أشهر عديدة).

وقد كان الحادثان الأليمان، يملآن قلب النبي ﷺ حزناً وكآبة، ويفيضان من مآقيه الدموع.

وحتى ـ بعد أن بُعث رسولاً ـ كان في بعض الأحيان يأتي إلى قبر

أبيه، وقبر أمه، وكان يبكي بكاءً مُرّاً.

لكن العناية الإلهية شاءت أن لا تحرم (محمداً) صلى الله عليه وآله من حنان الجد والعم وزوجة العم:

فقد كان (عبد المطلب) و(أبو طالب) يكفلان النبي ﷺ بمنزلة الأب الرحيم..

وكانت (فاطمة بنت أسد) أم (الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) تعطف عليه ﷺ كأنها الأم الرؤف.

أبو طالب عليه السلام يكفل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ولما حان وفاة (عبد المطلب) كان عمر (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنوات، جمع أولاده وأوصاهم بالحفيد، وقال:

احفظوا وصيتي فيه.

فقال (أبو لهب): أنا له ..

فقال (عبد المطلب): كف شرك عنه.

فقال العباس: أنا له ..

فقال (عبد المطلب): أنت غضبان لعلك تؤذيه ..

فقال (أبو طالب): أنا له ..

فانشأ عبد المطلب يخاطب أبا طالب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي

بواحد بعـــد أبيـــه فـــــرد

فكفله أبو طالب بعد وفاة عبد المطلب خير كفالة..

الرسول ﷺ في طفولته وشبابه

وأخذ الرسول ﷺ ينمو، ويظهر نجمه، ويلمع أسمه، ويشارك قومه في الأمور كلها، ما عدا الدنايا..

فلم يسجد ﷺ لصنم..

ولم يلعب قماراً..

ولم يشرب خمراً..

ولم يُحم حول الفجور..

أما معالي الأمور فكان (النبي) ﷺ يشاركهم فيها.

فشارك في حرب (فجار) وهي حرب قامت بين (قريش) و(هوازن).

وشارك في (حلف الفضول) وهو حلف تداعت فيه (قريش) إلى نصرة المظلوم، فتعاهدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوماً إلاّ نصروه.

مشاركة الرسول ﷺ في بناء الكعبة

وشارك في بناء (الكعبة) فقد أصابها سيل فصدع جوانبها، وهدم أركانها، فأرادت قريش بناءها، فكان (محمد) ﷺ يشاركهم في نقل(الحجارة) للبناء، حتى إذا اكتمل البناء، وبلغوا موضع الركن (الحجر الأسود) اختلفوا بينهم:

أيهم ينال شرف وضع (الحجر) مكانه؟

واشتدّ بينهم الخلاف حتى همّوا أن يحاربوا.

وانتهى الأمر إلى أن رضوا باحتكام أول من يدخل عليهم من باب المسجد، ووقفوا ينتظرون أول داخل من الباب، وإذا بالطلعة المشرقة المنيرة، تطلع عليهم غرة (محمد) الحكيم..

ففرحوا به فرحا بالغاً.

فقصوا عليه قصتهم، وأخبروا بأنه الحَكَم في هذا الأمر.

فقال النبي ﷺ: (هلموا إليّ ثوباً).

فأخذ الثوب وبسطه، ووضع (الحجر) في وسطه، وقال: (لتأخذ كل قبيلة بناحية الثوب، ثم ارفعوه جميعاً).

وكان قصده من ذلك إرضاءهم جميعاً..

ولما وصلوا إلى الركن رفعوا الثوب، وأخذ النبي ﷺ (الحجَر) ووضعه في موضعه.

وقد كان هذا القضاء من أسباب دوي السمعة الطيبة للرسول ﷺ في الأوساط.

الرسول ﷺ يذهب للتجارة

وكانت عادة (قريش) أن ترحل في الشتاء إلى (اليمن) وفي الصيف إلى (الشام) للاصطياف والتجارة، كما نزل في قوله تعالى:

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ

لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ (١)

إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشّتَآءِ وَالصّيْفِ (٢)

فَلْيَعْبُدُواْ رَبّ هَـذَا الْبَيْتِ (٣)

الّذِيَ أَطْعَمَهُم مّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مّنْ خَوْفٍ (٤)

وفي إحدى هذه الأسفار التي كانت (قريش) تنحو نحو (الشام) أخذ (أبو طالب) الكفيل، (محمداً ﷺ) معه إلى (الشام).

وفي إثناء الطريق، وصلوا إلى (دير) راهب، يسمى (بحيراء)..

فلما أبصر الراهب بالنبي ﷺ عرفه، وأنه هو النبي المبعوث في آخر الزمان..

فجاء بمقدار من الطعام، وأخذ يتساءل: من يتولى أمر هذا الغلام؟

فأجاب أبو طالب: أنا ..

فقال (بحيراء) أي شيء تكون منه؟

قال أبو طالب: عمه، أخو أبيه من أبيه وأمه..

فقال بحيراء: أشهد أنه هو (يعني: أنه الرسول المبعوث)..

وأخذ يحلف ويقول: هو هوَ ورب المسيح.

ولما وصلت (قريش) إلى الشام، التقى(أبو طالب) و(نوفل) براهب يقال له: (أبو المويهب) فسال الراهب عنهما:

(هل قدم معكما غيركما؟)

قالا: نعم.. شاب من بني هاشم أسمه (محمد).

قال الراهب: إياه أردت..

وسألهما أن يرياه (محمداً) ﷺ..

ولما رأى النبيَ ﷺ قال: هو هوَ، ثم انحنى على الرسول

يقبله.. ولما فارقه، قال الراهب: هذا نبي آخر الزمان سيخرج عن قريب.

وسافر الرسول ﷺ مرة أخرى إلى الشام، أجيراً للسيدة (خديجة) عليها السلام للاتجار بمالها.

زواج الرسول ﷺ من خديجة عليها السلام

ولما رجع (محمد) ﷺ من سفرة التجارة، وعمره آنذاك (خمسة وعشرون) سنة، رغبت (السيدة خديجة) في التزويج به.

وكانت هذه السيدة، من أجمل نساء مكة، وأكثرهن ثروةً، وكانت مثلاً بين النساء في الشرف والطهارة والنزاهة، وتقرب من النبي ﷺ، إذ كانت تلتقي بنسبها من الرسول في (قصي بن كلاب).

ولما عرف (أبو طالب) رغبة (خديجة) من الزواج بـ (محمد) ﷺ ذهب في حشد لخطبتها، وقال في الخطبة:

«الحمد الله الذي جعلنا من ذرية (إبراهيم)، وزرع (إسماعيل) .. ثم إن ابن أخي هذا: (محمد بن عبد الله) لا يوزن به رجل، شرفاً

ونبلاً وفضلاً.. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم (خديجة) وقد بذل لها من الصداق، كذا وكذا».

وجعل الصداق عدداً من الإبل ـ كما في بعض التواريخ.

وتم الزواج السعيد بين رسول الإسلام ﷺ والسيدة (خديجة) عليها السلام وقد كانت فرِحةً مسرورةً بهذا الزواج، كما إن النبي ﷺ سر بهذا الزواج، وعاشا معاً طيلة حياتها التي دامت (ثمان وعشرين) سنة، أفضل مثال للزوجين المتلائمين السعيدين.

وقد كان لهذه السيدة العظيمة أكبر نصيب في مؤازرة الرسول بعد البعثة، وأعظم الأثر في الدفع بالإسلام (الدين الجديد) إلى الأمام.

ورزق منها من الأولاد: (زينب) و(أم كلثوم) و(فاطمة) و(رقية) و(قاسم) و(الطاهر) عليهم الصلاة والسلام.

تمارين

١ : كيف كانت حالة الجزيرة قبل ولادة الرسول ﷺ ؟

٢ : متى وأين وُلد رسول الإسلام ﷺ وماذا حدث حين ولادته؟

٣ : تكلم حول قصة مرضعة الرسول ﷺ ؟

٤ : من تكفل الرسول ﷺ حين طفولته؟ ولماذا؟

٥ : تحدث عن بناء الكعبة المشرفة؟

٦ : من كانت زوجة الرسول ﷺ.. وكيف تم زواجها؟

٧ : هل كان الرسول ﷺ يشارك قومه في أمورهم ؟ مثّل لذلك.

٨ : من أخبر بنبوة (محمد) ﷺ وكيف؟

العالم قبل مبعث الرسول ﷺ

كان العالم قبل مبعث الرسول ﷺ يستعد لتحول عام في جميع الكيان البشري.

وقد كان الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، وبعض الكهنة ينبئ بمقدم مثل هذا الرسول، لما وجدوه في كتبهم من صفته وزمانه.

وكانت يهود (يثرب) إذا حدثت بينهم وبين العرب (المشركين) منازعات، يتوعدونهم بظهور النبي وأنهم ينصرونه، فينتقمون من أعدائهم.

قال ابن عباس: إن اليهود كانوا يستفتحون على (الأوس) و(الخزرج) برسول الله، قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن

قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمّا جَآءَهُمْ مّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١).

وقد كان الكهّان من العرب تأتيهم الشياطين من الجن، فتذكر بعض أمر الرسول، مما كانت تسترق السمع..

فلما تقرب زمانه (صلى الله عليه وآله) حيل ـ في السماء ـ بين الشياطين وبين المقاعد التي تقعد فيها وتسرق الأنباء، وكانت إذا أرادت أن تستمع إلى الملأ الأعلى تُرمى بالشظايا والشهب.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة، عن لسان الشيطان:

﴿وَأَنّا لَمَسْنَا السّمَآءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ۞ وَأَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الاَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رّصَداً ۞ وَأَنّا لاَ نَدْرِيَ أَشَرّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبّهُمْ رَشَداً﴾ (٢).

كانت الأوضاع العالمية تنحدر من سيء إلى أسوأ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سورة البقرة: ٨٩.

(٢) سورة الجن: ٨ – ١٠.

يكتمل ويقوي ويرقى مدا رج الكمال من حسن إلى أحسن.

الرسول ﷺ يتلقى الوحي

ولما كمل عمره المبارك أربعين سنة .. وكان ذات يوم في (غار حراء) وهو كهف صغير بأعلى جبل يسمى (حراء) في الشمال الشرقي من مكة، يبعد عنها نحو ثلاثة أميال، إذ فتحت له أبواب السماء، ورأى أفواج (الملائكة) وطرأت عليه حالة من الدهشة والرعب، لم يسبق له نظير.

فإذا بملك عظيم، يملأ الآفاق، يسمى (جبرائيل) عليه السلام، ينزل عليه من السماء، ويأخذ بيده، ويقول له:

اقرأ!

قال (محمد) ﷺ في دهشة وارتياع: ما اقرأ ؟

قال (جبرائيل):

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِي خَلَقَ (١)

خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)

اقْرَأْ وَرَبّكَ الأَكْرَمُ (٣)

الّذِى عَلّمَ بِالْقَلَمِ (٤)

عَلّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ...

وكان هذا الحادث الجلل، في يوم (السابع والعشرين من شهر رجب)، يسمى بيوم (المبعث) حيث بعث الله الرسول ﷺ إلى البشر، ليرشدهم إلى الحق، وينقذهم من الضلالة.

وقد كان نزول هذه السورة، وهي (سورة علق) بدء بعثة الرسول ﷺ، حيث أوحى الله تعالى إليه بهذا الشكل، وانتخبه إله الكون ليكون سفيراً بينه وبين عباده.

ومن ذلك اليوم أضيف إلى ألقاب (محمد) الصادق الأمين: لقب (الرسول) فصار (رسول الله) و(خاتم النبيين) ﷺ.

إن (جبريل) الملك العظيم، نزل على الرسول ﷺ وأتاه بـ (الوحي) وانتخبه الله ليكون (نبياً رسولاً).

لكن هل هذا الحادث شيء طفيف؟

وهل إن هذه السفارة بين إله الكون وبين البشر كافة، أمر هين؟

إن (الرسول) ﷺ ارتاع لرؤية جبريل، واضطرب قلبه المبارك لمشاهدة ملكوت السماوات والأرض، ولأول مرة في حياته يرى

مالم يراه من قبل.

فنزل الرسول ﷺ من (غار حراء) وتوجه نحو الدار وهو يطوي هذه المسافة الطويلة (ثلاثة أميال) بين الجبال والقفار.. ويشاهد في الطريق ما يزيد دهشة، فكل شيء في الطريق، من حجر وشجر ونبات يخر له ساجداً، بمجرد عبوره عليه، ويقول بلسان فصيح:

«السلام عليك يا نبي الله».

ولما دخل الدار، تنورت الدار بشعاع وجهه، فاستغربت (السيدة خديجة) عليها السلام الأمر، وسألت: ما هذا النور؟

قال رسول الله ﷺ: هذا نور النبوة..

ثم قال لها الرسول ﷺ: قولي:

«لا اله إلا الله، محمد رسول الله» .. فأجرت هذه الكلمة المباركة، على لسانها، وأسلمت لله رب العالمين.

وقد وجد الرسول ﷺ في نفسه برداً، كما يجده كل من يدهش لحادث جلل، فقال: يا خديجة، دثريني. فدثرته، فنام ﷺ وإذا بالوحي يوقظه، وينزل عليه:

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)

قُمْ فَأَنذِرْ (٢)

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) ...

ومنذ الوحي بدأت مرحلة جديدة في حياة الرسول ﷺ وألقيت على عاتقه مهمة الرسالة والدعوة.

وصل نبأ نزول الوحي إلى الرسول ﷺ إلى (ورقة) وهو من العلماء، ويتصل بـ (خديجة) عليها السلام زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله) بنسب.

فأتى إلى (خديجة) وسألها عن صفة الوحي؟

فلما أخبرته .. قام (ورقة) وقبّل رأس الرسول (صلى الله عليه وآله) وقال، يبشره بهذا المصب الإلهي العظيم ـ :

«ذاك الناموس الأكبر، الذي نزل على موسى وعيسى».

ثم قال: «أبشر فإنك أنت النبي الذي بشّر به موسى وعيسى، وأنك نبي مرسل، ستؤمر بالجهاد» ثم أنشد بعض الأشعار.

ومن الطبيعي:

أن يفكر الرسول ﷺ تفكيراً طويلاً حول قومه كيف يهديهم إلى الحق؟

وهل إنهم مستعدون لتصديقه بأن الله واحد لا شريك له؟

وأنه رسول إليهم من عنده؟

وكيف يصدقونه، وهم يعبدون مئات الأصنام ويجعلونها لله شركاء؟

أم كيف يستعدون أن يخضعوا له ويطأطئون لرسالته، وهم على ما هم عليه من الكبرياء والتعجرف؟

إن مهمة الوحي والرسالة، ليست كسائر المهام التي تقوي عليها نفس عادية، إنها وطأة ثقيلة، لا تقوى لها الجبال الرواسي، كما تشير الآية الكريمة:

﴿إِنّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (١).

لكنه لابد من التبليغ.. ولا بد من المواجهة الصعاب، والرسول ﷺ مستعد لذلك.. ولو كلفه الأمر ما لا يُطاق، ولو كان في ذلك ذهاب جميع ما لديه، ولو كان بثمن حياته الغالية!.

---

(١) سورة المزمل: ٥.

بدء الدعوة الإسلامية

لما نزل على الرسول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (١).

قام وجعل إصبعه في أذنه، وقال:

«الله أكبر.. الله أكبر»

فكان كل موجود يسمعه يوافقه.

ولما نزل قوله تعالى:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (٢).

صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا، فقال:

يا صباحاه!.

فاجتمعت إليه (قريش) فقالوا: مالك؟

قال: أرأيتكم إن أخبرتكم: أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، ما كنتم تصدقونني؟

---

(١) سورة المدثر: ١.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤.

قالوا: بلى..

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقام (أبو لهب): عم الرسول ﷺ وقال:

تباً لك، ألهذا دعوتنا ؟!

وفي ذات مرة:

خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً:

«أيها الناس، إن الرائد لا يكذب أهله، ولو كنت كاذباً لما كذبتكم، والله الذي لا إله إلاّ هو: أني رسول الله إليكم حقاً خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتون كما تنامون، ولتُبعثون كما تستيقظون، ولتُحاسبون كما تعملون، ولتُجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءً، وإنها الجنة أبداً، والنار أبداً، وإنكم أول من أنذرتم».

وفي خبر أنه ﷺ قال بعد ما جمعهم:

«أرأيتم لو أخبرتكم: إن خيلاً وراء هذا الجبل، تربد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟».

قالوا: نعم.. أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط.

فقال ﷺ: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وأظهر

رسالته.

رسالته.

خطب جلل ونبأ ما أعظمه

إنسان، كان كأحدهم إلى يوم أمس، ثم يقوم ليقول: إني رسول الله قد أنزل عليّ الوحي، وأمرني أن أنذركم، وأن تؤمنوا بأن الله واحد، وأني رسوله إليكم. ثم ماذا.؟

ثم تطيعوني في أقوالي، وتتركوا ما أنهاكم عنه، مما ألفتموه، وجرت عادتكم عليه.

وهل لهذا الرجل الداعي، أموال ضخام؟ كلا..

أم هل له سلطان ومنصب؟ كلا..

أم هل له قوة تحميه؟

أم هل له عشيرة تعضده؟ كلا.

انتشر هذا النبأ العجيب، في أندية مكة، فأخذوا يتسامرون به، وجعلوا يتحدثون به في مجالسهم، فقد شاعت الدعوة، وظهر الأمر، وطفقت نفوس أهل مكة تتهيأ لمواجهة هذا الخبر الجديد، وتترصد الأخبار متسائلين: ما هذا الدين الجديد، الذي يدعو إليه (محمد)؟.

فكانت نفوس قليلة استنارت بالحق، وخرجت عن التعصب، تؤمن بالرسالة، وتهتدي بهدى الإسلام..

وكانت نفوس كافرة مظلمة، لا تريد الهدى، وتسدد في غيها وعتوها، تنسب الرسول ﷺ إلى ما تهويه نفسها، ويلوك به لسانها، فيقولون:

(شاعر، نتربص به ريب المنون)!.

(إنه لمجنون)!.

(كاهن)!.

(إنما يعلمه البشر)!

إلى غير ذلك.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أول من آمن

كانَ أول من آمن بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصدّقه: (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) عليه السلام. وبعده (السيدة خديجة) عليها السلام.

ثم.. (أبو طالب) عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي ذات يوم، أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (علياً) أن يدعو رجال عشيرته، وأن يهيء لهم طعاماً.. ليبلغهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة.

فصنع (علي) عليه السلام الطعام، كما أمره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ودعى العشيرة، وهم أربعون رجلاً، فحضروا وأكلوا وشربوا.

ثم أظهر لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة وأنه رسول الله إليهم، ووعد من آزره بأنه يكون أخاه وخليفته.

فأحجم القوم عن الجواب، إلاّ (علي بن أبي طالب عليه السلام) فقام، وهو أصغرهم سناً، يا رسول الله، أنا..

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنه أخي وخليفتي، فاسمعوا له وأطيعوا.

فضحك القوم، وتوجه (أبو لهب) إلى (أبي طالب) قائلاً:

إنه يأمرك إن تطيع ابنك..

وتفرقوا عن المجلس مستهزئين..

أبو لهب

وقد كان (أبو لهب) و(زوجته) من أشد الناس إيذاءً للرسول ﷺ، فكان (أبو لهب) يرمي الرسول ﷺ بالحجارة، و(وزوجته) تلقي في طريق الرسول ﷺ الأشواك.

فأنزل الله تعالى فيهما: سورة (المسَد).

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ

تَبّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبّ (١)

مَآ أَغْنَىَ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)

سَيَصْلَىَ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (٣)

وَامْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ (٤)

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مّن مّسَدٍ (٥)

وقد كان الأمر ـ كما أخبر الله تعالى ـ حيث لم يؤمن (أبو لهب) و(زوجته) بالرسول ﷺ حتى ماتا.

***

وأخذ الإيمان يتسرب إلى النفوس الطاهرة، فكانوا يأتون إلى الرسول ﷺ متسللين ويظهرون الإسلام، ويشهدون (أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله).

وأخذ المشركون يزدادون في إيذاء النبي ﷺ والمسلمين لعلهم يرجعون ..

شكوى الكفار إلى عم الرسول ﷺ

وجاء جماعة من الكفار ذات مرة، إلى عم النبي (أبي طالب) الذي آمن به في السر، وكان يحميه في العلن، فقالوا:

(يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإما أن تكفّه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فنكفيكه، فإنك على مثيل ما نحن عليه، من خلافه).

فردهم أبو طالب عليه السلام رداً جميلاً، وآزر الرسول ﷺ وأمره بإظهار دعوته، وأنه لا غضاضة عليه، ما دام هو حي.

***

وفكرت قريش ذات مرة أن تقابل (محمداً ﷺ) وتثنيه عن عزمه

بالطمع والمال.

فاجتمعوا إلى الرسول ﷺ، وقالوا: (يا محمد، شتمت الآلهة، وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة).

فإن طلبت مالاً، أعطيناك.

أو الشرف، سودناك.

أو كان بك علة، داويناك.

فقال ﷺ: «ليس شيء من ذلك، بل بعثني الله إليكم رسولاً، وأنزل كتاباً، فإن قبلتم ما جئت به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر، حتى يحكم الله بيننا».

وهكذا فشلت خطط قريش، بالنسبة إلى إغراء النبي ﷺ، كما فشلت من ذي قبل بالنسبة إلى الفصل بين النبي وبين عمه (أبي طالب) ورجعوا خائبين.

تعذيب الكفار للمسلمين

واتخذ الكفار خطة جديدة، لتفريق الناس من حول الرسول ﷺ، فتوسلوا بتعذيب المسلمين، لكي يفتنوهم عن دينهم، لعلهم بهذه الوسيلة الدنيئة يقضون على الدعوة الإسلامية.

فـ (بلال) كان يأتي به سيده (أُمية) إلى خارج مكة، إذا حميت الشمس وقت الظهيرة، ويلقيه في الرمضاء على ظهره. ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتلقى على صدره: ويقول: لاتزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللآت والعزى..

فيقول (بلال) وهو على هذه الحالة المؤلمة. (أحد.. أحد) يريد بذلك أنه لا يؤمن إلاّ بالله الواحد الأحد.

و(خباب) أخذه الكفار، وعذبوه أشد العذاب، فكانوا يعرونه من ثيابه، ثم يلصقون ظهره بالرمضاء، ثم بالحجارة المحماة بالنار، ويلوون رأسه ورقبته، ليكفر بالرسول ﷺ، فكان لا يزداد إلاّ إيماناً وتسليماً وصبراً.

و(عمار) و(ياسر: أبوه) و(سمية: أمه) عذبوهم الكفار أشد

العذاب، فكانوا يخرجونهم إلى الأبطح، إذا حميت الرمضاء يعذبونهم، فمر بهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات مرة، فقال ﷺ:

«صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

فمات (ياسر) في العذاب، وطعن أبو جهل (سمية) بطعنة قبيحة، فماتت، وأنهكوا (عمار) عذاباً.

وقد كان الكفار، يضربون المسلمين، ويجيعونهم ويعطشونهم، حتى لم يقدروا أن يستووا جالساً من شدة الضر الذي بهم.

فلا يرجع منهم راجع، ولا يترك الإسلام منهم أحد، وكان النبي ﷺ تفيض عيناه بالدمع حزناً عليهم، وهو يصبّرهم ويعدهم النصر في الدنيا، والسعادة في الآخرة..

إيذاء الكفار للرسول ﷺ

أما إيذاء الكفار للنبي ﷺ، فشيء معلوم.

يقول بعض الرواة: رأيت النبي ﷺ في سوق (ذي المجاز) وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، وأبو لهب يتبعه، ويرميه بالحجارة، وقد أدمى كعبه وعرقوبيه، وهو يقول: لاتطيعوه فإنه كذاب..

وكان ﷺ إذا مر بقوم، أشاروا إليه بالأصابع استهزاءً به.

وكانوا يلقون على رأسه الكريمة الفرث، وهو في الصلاة.

وربما ألقوا في طعامه ـ وهو مشتغل بالأكل ـ القذر.

وشج أحد الكفار رأسه بالقوس، حتى جرت الدماء على وجهه المبارك.

وكانوا يأتون بالقذر ويلطخون به جدران داره، ويلقونه في فنائه.

وربما رشقوا داره بالحجارة.

وكان النبي ﷺ يقابل ذلك بالحلم، والصبر، ويدعوهم إلى

الله سبحانه، وأن يحكّموا عقولهم فيما جاء به.. وكان يدعوهم أن يتركوا أذاه وأذى أصحابه، وأنهم لو كانوا صادقين فليأتوا بمثل القرآن العظيم، ويتحداهم بذلك.

فطلب ـ أولاً ـ منهم أن يأتوا بمثل القرآن. وأخبر أنهم لايتمكنون:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنّ عَلَىَ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (١).

ثم طلب منهم ـ ثانياً ـ أن يأتوا بعشر سور:

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ (٢).

ثم طلب منهم ـ ثالثاً ـ أن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىَ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

لكنهم لم يتمكنوا أن يأتوا، ولا بسورة صغيرة، وأظهروا العجز والفشل، وكان منتهى ما لديهم (السبّ) و(الإيذاء)..

---

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) سورة هود: ١٣.

(١) سورة البقرة: ٢٣.

الرسول ﷺ يجدّ في دعوته

وقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يثنيه عن دعوته شيء ليلاً ونهاراً، ففي الليالي يتلو القرآن بصوت عال، يسمعه الجيران والمارة، وفي النهار يدعوهم في مسجد الحرام، ويصلي أمامهم، ويخرج إلى الأسواق والشوارع فيناديهم، ويدعوهم في الندوات والمجتمعات، وبين كل فترة يخرج إلى القبائل والعشائر فيدعوهم إلى الإيمان.. وفي مواسم الحج، كان يدعو القبائل الوافدة إلى الحج في (منى) ويعرض نفسه عليهم.

وفي غضون تلك المدة راسل ﷺ (النجاشي) ملك الحبشة، وأرسل إليه وفداً برئاسة ابن عمه (جعفر ابن أبي طالب).

كما إنه سافر ذات مرة إلى (الطائف) لعله يجد هناك أذناً صاغية.

كما أن (قريش) قاطعت الرسول ﷺ وذويه، مدة ثلاث سنوات، وألجؤوهم إلى (شعب أبي طالب) يلاقون مصاعب الجوع والعرى والخوف.

لكن الرسول ﷺ صمد أمام ذلك كله، ولم يثنه عن عزمه

شيء.

إيمان أبي طالب عليه السلام

وكان يؤازره في دعوته (أبو طالب) وولده (علي) عليهما السلام، ويمنعانه عن كيد الأعداء ويقيانه بأنفسهما، وفي ذلك يقول أبو طالب:

والله لن يصوا إليك بجمعهم

حتى أوسّـد في التراب دفينا

ولقد علمــتُ بأن دين محمد

من خير أديان البريــة دينــا

كما إن (السيدة خديجة) عليها الصلاة والسلام، كانت تمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتشجيع والمال فقد بذلت ثروتها الطائلة، التي كانت تعد بالملائين، للدعوة الإسلامية وجعلتها تحت اختيار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، يبذل منها للمستضعفين نم المسلمين الذين لا مال لهم.

وجرت الأمور على نهج واحد، حتى مات (أبو طالب) وماتت (خديجة) عليهما السلام.

وبموت (خديجة) و(أبي طالب) إنهد ركنا رسول الله (صلى الله

عليه وآله).

وهنا اغتنم الكفار الفرصة ليقضوا على الإسلام، بالقضاء على رسول الله ﷺ الذي مات ناصره الوحيد (أبو طالب) وشريكة حياته الوفية المشجعة (خديجة).

تآمر الكفار ضد اليهود

فتأمروا بينهم لوضع خطة جدية للخلاص من الرسول ﷺ وأخذوا يقلبون وجه الرأي فيما يصنعون: أيزجونه في غرفة مثقلاً بالحديد ويوصدون الباب عليه؟

لكن أصحابه يخلصونه قطعاً.

أم يخرجونه من البلاد وينفونه من الأرض؟

لكن بيانه وحلاوة لسانه يجعلان له أنصاراً في كل مكان.

أم يقتلونه؟

لكن كيف السبيل إلى ذلك، وبنو عبد مناف يحوطونه من كل جانب..

وأخيراً أشار عليهم بعض الحاضرين في (الندوة) بأن يقتلوا النبي

ﷺ بطريقة لا يتمكن أهله وعشيرته من القصاص، بأن يختاروا نم كل قبيلة من القبائل فتى شجاعاً، فيذهبون إلى النبي ﷺ جميعاً، ويضربونه بسيوفهم ضربة رجل واحد، حتى يتبدد دمه الطاهر بين القبائل، ويضطر أهله من أخذ الدية.

هجرة الرسول ﷺ

وهكذا استقر رأي أهل الندوة بالإجماع، واختاروا الفتيان المستعدين لتنفيذ هذه الخطة، وفيهم (أبو لهب) عم النبي ﷺ اللدود.

ولم يمض زمان إلاّ و(المتآمرون) يكتفون بيت النبي ﷺ من كل جانب ومكان، وحيث لم تجر عادتهم على أن يهاجموا إنساناً في عقر داره، فقد قرروا الانتظار بالرسول حتى يخرج، لينفذوا القتل فيه.

وقد أوحى الله سبحانه إلى الرسول ﷺ بخطتهم هذه، وأذن له في الهجرة إلى (يثرب): (المدينة المنورة).

فأبات الرسول ﷺ (علياً عليه السلام) في فراشه، وخرج تلك

الليلة، مهاجراً إلى (المدينة).. وقد انسلخ من عمر الدعوة الإسلامية، ثلاث عشر سنة.

تمارين

١ : اشرح حال العالم قبل مبعث الرسول ﷺ.

٢ : كيف ابتدأت نبوة نبينا محمد ﷺ؟

٣ : كيف كان بدء الدعوة الإسلامية؟

٤ : من هو أول من آمن؟.. وماذا كان أثره في الإسلام؟

٥ : ماذا واجه الرسول ﷺ في طريق التبليغ؟

٦ : اشرح حال المسلمين ابتداء الدعوة.. ومثل منهم.

٧ : لماذا وكيف هاجر الرسول ﷺ من مكة؟ وإلى أين هاجر؟

صورة عن الطبعة الأولى للكتاب

قادة الاسلام
(١)

رسول الاسلام
في مكـــة

منشورات
دار القرآن الحكيم - بكربلاء المقدسة

مطبعة الاداب في النجف الاشرف

الفهرس

المقدمة ٤
حالة الجزيرة في الجاهلية ٥
ولادة نبي الإسلام ﷺ ٧
ظهور الأحداث الكونية عند ميلاد الرسول ﷺ ٨
مرضعة الرسول ﷺ ١٠
وفاة الأم الحنون ١٣
أبو طالب عليه السلام يكفل الرسول ﷺ ١٥
الرسول ﷺ في طفولته وشبابه ١٦
مشاركة الرسول ﷺ في بناء الكعبة ١٧
الرسول ﷺ يذهب للتجارة ١٨
زواج الرسول ﷺ من خديجة عليها السلام ٢٠
تمارين ٢٢
العالم قبل مبعث الرسول ﷺ ٢٣
الرسول ﷺ يتلقى الوحي ٢٦

بدء الدعوة الإسلامية ٣١
خطب جلل ونبأ ما أعظمه ٣٤
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أول من آمن ٣٦
أبو لهب ٣٧
شكوى الكفار إلى عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣٨
تعذيب الكفار للمسلمين ٤٠
إيذاء الكفار للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٤٢
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجدّ في دعوته ٤٥
إيمان أبي طالب عليه السلام ٤٧
تآمر الكفار ضد اليهود ٤٨
هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٤٩
تمارين ٥١
الفهرس ٥٣